للتاريخ السياسى

نتائج اتفاق مونيخ

للدكتور يوسف هيكل

رأت دول وسط وشرق أوربا ، بعد أن زالت السياسة التى بنيت عليها العلاقات الدولية ، أن تبنى علاقاتها الدولية على أسس جديدة . فأخذت تلتف حول الريخ طلباً لوده واتقاء لنقمته . لأنه ظهر لها أن لا وجود مطلقاً للضمان المشترك ، ولا فائدة ترجى من التحالف مع الدول المقاومة للهر هتلر . لأن هذه الدول لا تقوى على مد يد المساعدة لحليفتها . والدول القائلة بهذا القول تضرب مثل تشيكوسلوفاكيا لإثبات صحته

وفى الواقع أن تشيكوسلوفاكيا نفسها قد غيرت سياستها الخارجية وأخذت تتقرب من ألمانيا . فأدلى الجنرال سيروفى رئيس حكومة براغ تصريحاً قال فيه : « إن مبادئ سياستنا الخارجية واضحة جلية ، وهى أن تكون علاقاتنا ودية مع جميع العالم لا سيما مع جيراننا . ويجب علينا التعاون معهم إذا أردنا أن نعيش بسلام وطمأنينة » . وقد ذهبت إحدى الجرائد التشيكية إلى أبعد من ذلك قائلة : « إن أوربا الوسطى أزيلت من الوجود ، وإنه يجب علينا حتى فى علاقاتنا التجارية نفسها ألا نعمل مع أية كتلة تضعنا ضد ألمانيا ، أو أن ندرك أن الهر هتلر والسنيور موسوليني أقوى من فرنسا وبريطانيا ، فالهر هتلر يكسب المعارك معركة بعد معركة طبقاً للنظرية الواردة فى كتابه كفاحى »

ولتحقيق سياسة التقرب مع ألمانيا ، وتنفيذاً لرغبة الهر هتلر ، استقال الدكتور بنيش من رياسة الجمهورية التشيكوسلوفاكية فى أكتوبر (تشرين أول) ؛ وألغى تدريس اللغة الفرنسية فى مدارسها كلغة إجبارية ، واستعيض عنها باللغة الألمانية . فرحبت ألمانيا بذلك ، وأخذت تساعد على إيجاد علاقات ودية بين الحكومتين

وانتشار نفوذ ألمانيا فى تشيكوسلوفاكيا يضع فى يدها مفتاح باب الدانوب ، ويفتح أمامها باب أوربا الشرقية والشرق الأدنى . وقد قال فى ٤ أكتوبر (تشرين أول) إرشيبالد ستنكلر زعيم الأحرار المعارضين « إننا سنعيش حتى نبكى اليوم الذى باعت بريطانيا فيه الحرية فى أوربا الوسطى ، وفتحت طريق توغل ألمانيا فى أوروبا الشرقية »

وعملياً أخذت ألمانيا تنشر نفوذها فى أوربا الشرقية وفى الشرق الأدنى ، فزار الدكتور فونك وزير الشؤون الاقتصادية الألمانية بلغراد وأنقرة وسوفيا . فعقد مع حكومة يوغوسلافيا اتفاقية تجارية جديدة ، وقال بصددها إن ألمانيا فى وضعية تمكنها من شراء نصف منتوج يوغوسلافيا ، ومن مساعدتها على إكثار منتوجها بتقديم الآلات والمال لاستثمار المعادن . وبالإضافة إلى ذلك فإن فى إمكان ألمانيا دفع أسعار مرتفعة لما تبتاعه ، والمحافظة على مستوى هذه الأسعار ، لأن نظامها الاقتصادى أقيم بصورة لا تؤثر عليه الأزمات . وقد أكد الدكتور فونك أن ألمانيا الآن أعظم بلاد العالم إنتاجاً بفضل نظامها السياسى . وأضاف قائلاً أن ليس فى الإمكان تفريق السياسة الاقتصادية عن العامة

وقد لقى الدكتور فونك استقبالا حارا فى أنقرة ، ونجح فيها نجاحاً باهراً ، إذ عقد اتفاقاً مع الحكومة التركية أقرضتها ألمانيا بمقتضاه ١٥٠ مليون مارك (ما يقرب من ١٣ مليون جنيه انجليزى) لشراء الآلات الصناعية والأدوات الحربية ، على أن تسدد بعد عشر سنوات . وقد أدهش ذلك الاتفاق الدوائر الدبلوماسية ، لأنه فى مايو السابق فقط اقترضت الحكومة التركية ستة عشر مليوناً من الجنيهات من الحكومة البريطانية

وبعد تركيا زار الدكتور فونك بلغاريا وتباحث مع حكومتها للوصول إلى تحسين العلاقات الألمانية البلغارية التجارية . وقد قبل دعوة رومانيا واليونان لزيارة بلادها ، وفى نيته زيارة إيران وافغانستان ، غير أنه أرجأ ذلك إلى وقت آخر . ودول البلقان ترحب بتحسين علاقاتها التجارية مع الريخ ، لأنها تعتقد أن تجزئة تشيكوسلوفاكيا أزالت كل مقاومة للمصالح الألمانية فى أوربا الشرقية . والعلاقات التجارية المنيعة تولد الصداقة السياسية ، والنفوذ الاقتصادى يوجد النفوذ السياسى

وقد صرح الهر فونك فى حديث له مع مندوب جريدة « برلين ثيتونغ » « أن فى جنوب أوربا الشرقى وآسيا الصغرى كل شىء تحتاج إليه ألمانيا تقريباً . ولهذا لا يمكن أن توجد دولة

أخرى قادرة على أن تشترى منها ما تشتريه ألمانيا . ونظراً لأهمية نهر الدانوب لجنوب أوربا الشرقى ، يجعل من هذه البلاد منطقة اقتصادية ممتدة من بحر الشمال إلى البحر الأسود ، والدول القائمة فيها تستطيع أن تكون متممة إحداها للأخرى » . وهذا التصريح يرمى إلى تحقيق الحلم الألمانى السابق للحرب العالمية ؛ حلم « همبرك — بغداد »

وتقول جريدة (اسن ناشونال زيتيج) فى عددها الصادر فى ١٢ أكتوبر (تشرين أول) إنه « إذا أصرت انكلترا وفرنسا على مواصلة جهودهما للاستيلاء على جانب من التجارة تعده ألمانيا بحق أنه من نصيبها فإنها ستكون بعد عام أو عامين ، أى بعد أن تتم تحصيناتها على الحدود الغربية ، فى مركز يساعدها على أن تعلن أنها وحدها صاحبة النفوذ الاقتصادى فى جنوب شرقى أوربا »

* * *

هذا ، ولا تنحصر نتائج اتفاق موينخ فى علاقة ألمانيا مع دول جنوب شرقى أوربا ، بل تتعداها إلى وضعية الدول الكبرى ومجرى سياستها

وفى موينخ تلاشت عصبة الأمم ، وذهبت البقية الباقية مما كان لها من تدخل فى الأزمات الدولية ؛ وتحققت فكرة السنيور موسولينى من حل المشاكل الدولية بواسطة « مؤتمر رباعى » ؛ تلك الفكرة التى لم توافق عليها بريطانيا وفرنسا عام ١٩٣٣ ، بل أصرتا حينئذ على وجوب حل الخلافات الدولية ضمن دائرة عصبة الأمم . وفى موينخ عقد المؤتمر الرباعى لحل المشكلة التشيكوسلوفاكية ، دون إعلام عصبة الأمم به ، ودون اشتراك الروسيا فيه ، فكان ذلك نصراً أدبياً سياسياً للسنيور موسولينى اتخذ منه دليل كبير على بعد نظر زعيم إيطاليا وعلى قدرته السياسية فى إيجاد الأسس لتسوية المشاكل الأوربية

وفى ذلك المؤتمر تحققت رغبة هتلر وموسولينى فى عزل الروسيا عن شؤون أوربا فأصبحت الروسيا فى عزلة سياسية لها نتائجها السيئة فى أوربا . لأن من شأن هذه العزلة إضعاف موقف فرنسا الدولى ، وبالتالى إضعاف مركز بريطانيا العظمى ، مما يشجع الهر هتلر على السير فى تحقيق مطامعه الواسعة

وفى موينخ انهارت سياسة سلامة فرنسا ، فزالت قوتها فى تشيكوسلوفاكيا وخسرت حلفاءها وأصدقاءها فى بلاد البلقان وشرقى أوربا . فكانت فرنسا الدولة الأولى التى تكبدت أكبر الخسائر ولحق بها أعظم الأضرار من جراء اتفاق موينخ . وكأن هذا الاتفاق كان موجهاً ضدها . وزيادة على ذلك فقد حاول الهر هتلر فى موينخ تحقيق أعز آماله عليه ، وهو إبعاد بريطانيا عن فرنسا لتم عزلتها وزوال سلطانها الدولى . وهو لم يواجه هذه المسألة وجهاً لوجه ، بل أتاها من طريق غير مباشر ، فوقع الستر تشمبرلين تصريحاً مفاده : « إنهما ينظران إلى اتفاق موينخ وإلى الاتفاق الإنكليزى الألمانى البحرى ، كرمز إلى رغبة شعبيهما بألا يحارب قط الواحد الآخر . وإنهما متأكدان على أن التشاور سيكون الطريقة المتبعة فى حل المسائل الأخرى التى تتعلق ببلادهما» وتقوية لهذه السياسة ألقى السير توماس أنسكيب ، وزير الدفاع الوطنى خطبة فى ١٢ اكتوبر (تشرين أول) قال فيها : « إننى أعتقد أننا سائرون فى الطريق المؤدية إلى إنشاء علاقات ودية مع الشعب الألمانى العظيم فى وسط أوربا . وأثمن هدية نستطيع تقديمها إلى عالم متزعزع أهوج هو السلام بيننا وبين ألمانيا » . ومن شأن هذه السياسة تمكين الهر هتلر من تحقيق مطامعه . لأن القوة الوحيدة فى أوربا التى تجعل الهر هتلر يفكر قبل العمل على تحقيق مطامعه الواسعة هى جيش فرنسا العظيم تسنده القوى البريطانية ، وتفريق هاتين القوتين بعضهما عن بعض يعوق الجيش الفرنسى عن العمل ، ويمكن الهر هتلر من تحقيق ما يريد

وما يريده الهر هتلر أمر عظيم خطير ، يشرحه « كتاب النازى المقدس » وتجمله جملة منه إذ يقول زعيم ألمانيا « إنه ليس من الضرورى ، مهما كانت النتائج ، اللجوء إلى الحرب، إذا أريد حقا الوصول إلى السلام . وفى الحقيقة أن الفكرة الإنسانية والانشائية ربما تكون جيدة فى اليوم الذى يقهر فيه الرجل المتفوق على الجميع ، العالم ويسود ويصبح وحده سيد الدنيا . الحرب أولا وربما بعدها السلام » .

وهذه الجملة واضحة جلية ، ترى أن الهر هتلر يطمح إلى سيادة العالم سيادة أوربا فقط . وقد مكن اتفاق موينخ الذى كان أعظم نصر حازه الهر هتلر زعيم ألمانيا من أن يكون الرجل

من صاحب العصور إلى صاحب الرسالة

أخى الأستاذ الزيات :

السلام عليك ورحمة الله ، وبعد فإنى أحمد الله إليك وأستعينه وأسألهُ لك التوفيق والسَّداد . أبيت أيها الرجل إلاّ كرَماً من جميع نواحيك ، فما كدت تستقبل العام السابع من عمر « الرسالة » حتى عُدْتَ علىّ بفضل من ثنائك وحسن ظنك ، فذكرت « العصور » ثم أثنيت فأغنيت

لقد وافتنى كلمتك ، وأنا بعد أنفض عن يدىّ غبار «العصور» وأتخفف من أثقالها التى حملتها راضياً غير كاره ، لأنقلب إلى هذه الغرف العزيزة التى نشأت فى حجور الشيوخ من سكانها أستخبرهم علم ما أجهل ، وأستنبئهم أخبار ما مضى ، لأستوحىَ الظن فيما يستقبل ، وأجدد بعادىّ قوتهم قوة النفس التى لا تهدأ ولا تنام

لا بد من كلمة — أيها الشيخ الجليل — وقد كان الصمت أولى بى وأحبّ إلىّ . لا بدّ من كلمة أعتذر بها للذين استقبلونى بفرحة المحبّ أمتع باللقاء على غير ميعاد . فأنت تعلم أنى يوم عزمت على إصدار « العصور » لم أكن قد أعددت لها من مال إلا ما ادخرته فى نفسى من جهد أعوام طالت فى معاناة العلم والأدب ، وبقية من خلق ضننت بها أن تذيع فى أطرافها ونواحيها مهزعات العصر الحديث التى صرّفت الأخلاق فى وجوه النى والضلال ، وأطلقت دنيات الغرائز من عقال الشرائع ، وأرسلتها ترعى حمى

الأول فى أوربا والمتفوق على جميع ساستها ؛ ومن أن يبدأ فى نشر نفوذه عليها وسيادته لها .

* * *

يستغرب المرء تسليم فرنسا وبريطانيا العظمى فى مونيخ ، ويجعله يتساءل كيف سلمت فرنسا بمعقلها فى وسط أوربا ، ولنفوذها السياسى فى جنوبى أوربا وشرقيها ؟ فهدمت بذلك ما بنت خلال العشرين سنة الماضية ، وخسرت حلفاء وأصدقاء ، وسهلت وضعهم تحت النفوذ الألمانى ! وكيف قبلت بريطانيا اختلال التوازن الدولى ؟ ذلك التوازن الذى كانت دائما وأبدا تبذل الجهود وتدخل الحروب فى سبيل المحافظة عليه .

هذا ما نبينه فى المقال المقبل .

يوسف هيكل

أبى الله ورسوله أن يكون مرعى لمن آمن بالله واليوم الآخر

ولكن لا بد من مال مسكوك معترف به ، مصدّق على الاعتراف به من « محافظ البنك الأهلى » ، وإن قليل ما عندى من هذا المال لا يغنى غناءه فى عمل أوله استهلاك بغير نتاج وأنت أخبر بهذا الأمر . فلم يبق إلا الصديق الذى يعين على نوائب الحق ... فبدأنا إصدار « العصور » يعولها الجد من قبلى ، والعون من قبل الأصدقاء الكتاب من أصحاب مذهبنا ، والمدد من «جيب» الصديق الذى أبدى بشاشته ، واستظهرها بعاجل البر ، وسرنا على اسم الله . فما كان إلا كلا ولا حتى قلت كما قال الأول :

سعتْ نُوَب الأيام بينى وبينهُ فأقلعن عنّا عن ظلوم وصارخ
فإنى وإعدادى لدهرى «محمداً» كملتمس إطفاء نار بنافخ

وأبيتُ أن أخفض عن نفسى أو أرُدّ غلواءها ، فرددتُ المالَ إلى صاحبه غير منقوص ولا مهتضم . وقلتُ إنّ أمراً قضاهُ الله لا بُدّ له من تمامٍ وأجلٍ ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكنْ . وخيرُ الأمر أن ألجأ إلى الله ثم أستعين بما عندى على قضاء الحق الذى يقتضيه ما أقررت به على نفسى ، وما أقررتها عليه فى كلمة العدد الأول من « العصور » . فلم أبخل ولم أتراجع ، وأقدمتُ على إصدار العدد الثانى مستبشراً مؤملاً راجياً معتمداً على ثقتى بالله ، ثم ثقتى بحسن التقدير الذى لقيته . فلم يلبث أن لقىَ العدد الثانى من « العصور » حفاوة الناس فى كثير من بلاد العربية ؛ ولكن هذه الحفاوة المستبينة فى بيع مجلة — تكاليفها أكثر من دخلها بهذا البيع — لا يمكن أن تكونَ هى الرُّقية التى تجذب إلى رقاب المال من كهوف « البنك » فأجويها وأروضها وأتصرّف فيها تصرُّف الناس فيما هُمْ به « ناس » ! !

وقلت : عسى أن يقضى الله لأمر ضاق بالفرج ، وتوجهت بقلبى إلى الله ، وبوجهى إلى من أتوسم فيه سمة « الخزانة » المعدة لاحتجان المال . ولكنى وجدت القفل بعد القفل على الخزانة ، وافتقدت المفتاح الذى يتسنى له كل مغلق . إن هذا المفتاح ليس عندى ، ولستُ أملكه ، وما أحسبنى أرتضى — بعد أن جرّبتُ — أن أملكه أو أحوزه . إنه لا يملكه إلا من قدّم رهينةً ، والخُلُق لا يُعترف به فى باب الرّهائن ، ولستُ أملكُ غيره ؛ فلا رهينةَ ، أى لا قَرْضَ ولا معونة . وإنه لا يملك المفتاح بعدُ إلا اللصُّ الذى يلين له ما أعضل من قُفْل غُلِق